

## السيرة النبوية

### المحاضرة الثانية نشأته (ص):

يمكن تقسم مراحل نشأته على النحو الاتي:

اولا: مسألة ان النبي (ص) يتيم:

لا بد من توضيح ان الرسول كان يتيم الاب منذ ولادته ثم يتيم والام وعمره ست سنوات، وتمثل الحكمة من كون النبي (صلى الله عليه وآله) يتيماً هو في إفراد الله تعالى بالتربية والرعاية ليكون النبي (ص) خالصاً للرسالة، ولئلا يكون لأحد من المخلوقين -كالأب أو الجد- فضل أو طاعة واجبة عليه. تضمن ذلك نشأته عزيزاً، قوياً، ومستقلاً، مؤهلاً لتحمل عبء الدعوة، مع تربيته في كنف الهاشميين الشرفاء. وفي رواية سئل الامام علي بن الحسين (عليهما السلام): لم اؤتم النبي من ابويه؟ قال: لئلا يجب عليه حق لمخلوق، وعن ابي عبد الله (ع) قال: إن الله عز وجل ايتم نبيه (ص) لئلا يكون لأحد عليه طاعة. ومن المعلوم أن طاعة عبد المطلب وابي طالب (ع) لم تكن واجبة علي النبي (ص) وإن كان لهما الفضل عليه بسبب كفالتها وتربيتهما له، اما في قوله تعالى: {ألم يجدك يتيماً فأوى} <sup>(١)</sup>، أي الوحيد الذي لا نظير له في المخلوقين، فأوى الله الناس إليك، أي جعل الناس يلتجئون إليك، كذلك مسألة الفقر فلم يكن الرسول فقيراً قط وانما كان عبد الله تاجراً، وكان يمتلك إبلاً وأغناماً، وتذكر الروايات أنه توفي في المدينة المنورة أثناء عودته من رحلة تجارية في الشام، وقد ورثته عائلته وهما زوجته آمنة وابنه الرسول (ص) وفي الرواية انه: ((وقد ترك عبد الله وراءه خمسة جمال، وقطيع من الغنم وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها ام ايمن، ومولاه شقران وابنه صالحا، وورث من أمه آمنة بنت وهب دارها التي ولد فيه بمكة في شعب بني علي)) <sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الضحى، الاية ٦.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥.

ثانيا: الرضاعة :

أشارت الروايات إلى أنه أُرضع (ص) أولاً أياماً قلائل من قبل أمه، ثم أرضعته امرأة في مكة تدعى ثويبة لمدة قليلة، ثم انتقلت رضاعته (ص) إلى امرأة ثانية من خارج مكة تدعى حليلة السعدية، وهي امرأة من بني سعد، لتي أشارت الروايات إلى أنها أرضعته سنتين، ولكنه بقي في ديار بني سعد لأربع سنوات أخرى، ولما أصبح عمره (ص) ست سنوات ارجعته حليلة السعدية الى والدته.

ثالثا: وفاة امه امنة :

بعد ان عاد من حليلة السعدية اخذته امه امنة وذهبت به الى اخواله بني النجار في المدينة وقد توفيت عند عودتها من هذه الرحلة في موضع يعرف بأسم (الابواء)<sup>(١)</sup>، فاننتقلت العناية به (ص) من قبل جده سيد قريش عبد المطلب.

رابعا: كفالة جده عبد المطلب:

لما انتقل الرسول (ص) بالعيش الى بيت جده ابو طالب كانت تعينه مولاته وحاضنته ام ايمن وقد حرص عليه كل الحرص: ((وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم، فماتت وهي راجعة إلى مكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا بني فو الله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.))<sup>(٢)</sup>، وقد اصاب مكة الجفاف وقلة المطر فطلبت قريش من عبد المطلب ان يخرجون لطلب الاستسقاء من الله عز وجل عبد المطلب، فاجتمعوا إليه، وخرج من كل بطن منهم رجل، ففعلوا ما أمرتهم به، ثم علوا على أبي قبيس، ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام. فتقدم عبد المطلب وقال: لاهم! هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنو إمائك، وقد نزل بنا ما

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٩٨ .

(٢) ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ١٠٤ .

ترى، وتتابعنا علينا هذه السنون، فذهبت بالظلف والخف والحافر وأشفت على الأنفس، فأذهب عنا الجذب وائتنا بالحيا والخصب، فما برحوا حتى سالت الأودية، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم سقوا، فقالت رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا والجلود المطر فجاد بالماء جوني له سبل

دان فعاشت به الأنعام والشجر منا من الله بالميمون طائر

وخير من بشرت يوماً به مضر مبارك الأمر يستسقى الغمام به

ما في الأنام له عدل ولا خطر

ولم يمض على ذلك سوى سنتين حتى توفي جده عبد المطلب، وقد كان قد اوصى بكفالته الى عمه ابو طالب (وكان اسمه عبد مناف)، وذلك لما توسمه فيه من الرعاية الكافية لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأنه كان على فقره أنبل إخوته و أكرمهم وأعظمهم مكانة في قريش وأجلهم قدراً.

خامساً: كفالة ابو طالب للرسول (ص) :

بعد وفاة جده عبد المطلب كفله أبو طالب وقام برعايته أحسن قيام<sup>(١)</sup>، وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده و كان لا ينام إلا إلى جنبه و يخرج فيخرج معه و صب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وكان يخصه بالطعام و كان أولاده يصبحون رمضا شعنا و يصبح رسول الله صلى الله عليه وآله كحيفا دهينا<sup>(٢)</sup>، والسبب الثاني لأن عبد الله (ابو الرسول) وابو طالب اخوان من ام واحدة امهما هي (فاطمة بمن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم)، فانتقل الرسول (ص) الى بيت ابي طالب الذي تولى رعايته بمشاركة زوجته فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف فقد ربته في حجرها، وقدمته على أولادها، وكانت من السابقات للإيمان. حظيت بمنزلة عظيمة حيث شيعها النبي، كنفها بقميصه، واضطجع في قبرها، ولقنها الولاية، قائلاً: "هي أُمي بعد أُمي" و"جزاك الله من أم خيراً أن فاطمة بنت أسد لما نزلت هذه الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك..)<sup>(٣)</sup> كانت فاطمة أول امرأة بايعت رسول الله بعد أم المؤمنين خديجة".<sup>(١)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ١٠٤.

(٣) سورة الممتحنة، من الآية ١٢.

سادسا: سفرته (ص) مع عمه الى الشام:

كان أبو طالب توضع له وسادة بالبطحاء يتكى عليها أو يجلس عليها ف جاء النبي صلى الله عليه وآله فجلس عليها فقال أبو طالب إن ابن أخي هذا ليحس بنعيم و خرج به معه إلى الشام و هو ابن «اثنتي عشرة سنة» بعد ما عزم على إبقائه بمكة لكنه أبى إلا أن يصحبه فأخذه معه حتى بلغ به بصري فرآه بحيرا الراهب، و لم يزل أبو طالب يكرمه و يحميه و ينصره بيده ولسانه طول حياته. وكان أبو طالب كان كثيرا ما يخاف على الرسول (ص) البيات فكان يقيمه ليلا من منامه ويضع ابنائه مكانه، واستسقى أبو طالب بالرسول (ص) وهو صغير، أخرج ابن عساكر إن أهل مكة قحطوا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة و لاذ الغلام بأصبعه و ما في السماء قرعة فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا و أغدق و اخصبت الأرض و في ذلك يقول أبو طالب<sup>(٢)</sup>:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      شمال اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم      فهم عنده في نعمة و فواضل.

سابعا: حرب الفجار:

شهد الفجار وهو ابن عشرين سنة -و الفجار- من حروب العرب المشهورة كانت بين قيس وبين قريش و كنانة فكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش و كنانة ثم صارت لقريش وكنانة على قيس قال الرسول (ص) حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلت، وسميت الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم.

(١) الطبري، تفسير الطبري، .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٠ ج ٢٣، ص ٣٠٩.

## ثامنا :حلف الفضول:

**حضر (ص) حلف الفضول** و كان منصرف قريش من الفجار و كان أشرف حلف و أول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب فاجتمعت بنو هاشم و زهرة و تيم في دار عبد الله بن جدعان فتعاقدوا و تعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة، وفي التآسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول و لا يعلم أحد سبق بني هاشم بهذا الحلف قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم و لو دعيت به لأجبت .

## تاسعا: بناء الكعبة المعظمة:

بنيت الكعبة والرسول (ص) ابن خمس وثلاثين سنة وكانت قد تشعثت من السيل (أي الفيضان) فخافت قريش من هدمها ثم أقدمت عليه فلما بلغ البناء موضع الحجر الأسود اختلفت بينها فيمن يضعه في مكانه وكل قبيلة أردت ذلك لنفسها حتى كادت تقع فتنة ، ومكثت قريش على ذلك أياما، ثم اتفقوا على أنّ أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينهم، فكان أول داخل عليهم الرسول (ص) فلما رآوه قالوا: ((هذا الأمين رضينا، هذا محمد.))<sup>(١)</sup>. ودعا الرسول (ص) بثوب وأخذ الحجر، ووضع فيه بيده، ثم قال: ((لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، ثم بنى عليه.))<sup>(٢)</sup>. ثم رضوا بحكمه فحكم أن يوضع الحجر في ثوب ويحمل أطرافه من كل قبيلة رجل فرضوا بذلك ثم أخذه من الثوب ووضعوه في مكانه وبهذا فقد قاد (ص) قريش الى طريق السلم، وجنبها حرب اهليه كادت تقع بين القبائل .

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٤٥٨ .

(٢) البيهقي في دلائل النبوة، ج٢، ص٥٦-٥٧ .